الباب الرابع عشر

كيف تكون ؟

المقال الأول
ما أصعب أن تحمل لقب خادم ؟

توترت الأنامل حين كنت أقلب فى كتاب الله فجر اليوم حين وصلت إلى الآية ٤٨، ٤٩ من سورة الكهف (**وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا (٤٨)وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩)**، فتحركت أوتار القلب حين، رجفت، هزتنى الآية من داخلى، ولا اخفى على نفسى أمرا، إننى رغم مداومة القراءة والتلاوة اليومية فى كتاب الله بشكل يومى إلا وكأننى فى كل مرة استشعر بشيء يختلف عن كل مرة، فعادت ذاكرتى حين توليت المسئولية فى قطاعات مختلفة، والمسئولية ماذا تعنى، هنا تكمن أهمية السؤال، وهل تَحَمُل أو حَمْل المسئولية هى بالشيء الهين، إنها الأمانة حين تعلق فى الأعناق، انها الأمانة حين نعرض صفا واحدا، ونسأل عما حدث؟ إنها محاكمة لا زيف فى قول، ولا كذب فى شهادة، فهى محكمة الغيب الذى نجهل عنه الكثير، لن يستطيع أى شخص أن ينكر ما فعله **(يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (٢٥)** - سورة النور، حين تكون هناك المخاصمة بين الراعى والرعية، يوم تبدوا ما وراء الأسباب، إنها محكمة العراة، محكمة لا يخفى الثوب عورة، لا لباسا ارتدينا فى الدنيا كان لنا فتنه، ولا مالا جمعنا بوجهة غير الحلال فصار لنا فى جهنم بُرده، ولا كسب من حرام فى الدنيا ارتضيناه، فلن يبعد عنا العذاب ولو برهة.

إن من الخطورة بمكان أن تدار المسئولية لحساب شخص أو أشخاص، وليست لحساب من يتولى أمرهم، فإن المسئول، ايا كانت صفته، وبالمعنى

الشامل بلفظة ولى الأمر، فإن من أحب التسميات أن فهمها البشر لاختلفت موازين العدل بينهم هى لفظة الخادم (لا مدير ولا قائد ولا زعيم ولا ملك، ولا أية تسمية نسمع بها أو احترفنا فى تشكيلها كى تهدف إلى أغراضنا)، كل هذا قد ترجم بداخلى فانا رغم المنصب الدنيوى الذى لا نحمله معنا إلا أننى اعتبر نفسى خاما، ويا ليت ما حولى يفهمون؟ وهنا تكمن القضية؟

إن عظم المسئولية على الخادم شاقة، بل تصل إلى حد الرعب، وأتعجب ممن يتطاولون على مناصبهم وتدار كراسيهم لحساب أنفسهم، تذكرت فى ذهنى عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، وتوارد فى خاطرى انه إذا تحدثت مع أى أحد عن عمر بن الخطاب فى هذه الأيام ربما تشدق بفمه، وأخفى ما فى قلبه، سبحان الله، هل أصبحت العقيدة أثرا فى كتاب التاريخ، وها هو الخليفة عمر حين اعتلى المنبر وقال (والله الذى لا إله إلا هو، ما أخذت من مالكم شيئاً إلا بردتين (ثوبين) ثوب فى الصيف وثوب فى الشتاء)، هذا هو عمر فماذا غير عمر هذه الأيام؟

إن الآية ٤٨، ٤٩ من الكهف أطاحت برأسى، ورأيت مسئولية الخادم أمام المخدوم شاقة **(كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)**، إن رقابة الله تتطلب الحذر فى التعامل مع الآخرين، ايا كان موقعك فى سلم الخدم، إن استصغار الأمور يأتى منها كبار الشرر، فسبحان الله لأقوام تكنز مالا لا تعلم من اين مصدره، وعجبا فى حب الدنيا ما تدرى الأنفس من أين تكسبه، الله الله،

حين تدار المصالح فى ظل شرذمة سواء فى ظل الخادم أو فى ظل غياب منه أو بعيدا عنه، لتدار المصالح المشتركة، بواسطة البطائن الفاسدة لتضع أرصدة الفساد فى بطونهم، فتوقع انهيار الأمة، فالبطانة الفاسدة مفتاح انهيار الأمم لانهيار قيمهم وأخلاقهم بإعدام العقيدة المذبوحة فى ضمائر غابت وعقول مغيبة فتاهت معها الرعية، لا تؤمن بلقاء الله، قد تؤمن لفظا ولكنها لا تؤمن عملا وفعلا و إلا لما كان للظلم باعا وموجا متلاطما به الجور والغبن، فليفرح المتآمرون المرتشون الخائنون، ولينظروا إلى كلام الله سبحانه وتعالى – **وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (الأنعام:٩٤)**

ولنا أن نسأل أنفسنا ماذا وراء الكسب، وما نجمع، من حلال أو حرام، وما عادت تفرق لدى الكثير إلا من رحم يقول الله سبحانه وتعالى فى الآيات ٣٤ و ٤٥ من التوبة (**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ**).

إن مسئولية أن تكون خادما للناس أو يكون بيدك مصلحة تقضى بها حوائج الناس لتستغلها فى مصلحتك لتجمع حفنه من مال لن تأخذها معك بل ستأخذ معها كل حلال جمعته، لقد كان الخلف الصالح يتهربون من المسئولية والسبب أن المثول أمام الله يوم القيامة لأمر صعب ولنتذكر حين قام عليه الصلاة والسلام فى الناس خطيباً فى المسجد، فقال: (والذى نفسى بيده، لا نولى أحداً منكم على عمل فينقصنا ولو مخيطاً أو شعرة إلا أتى بها يوم القيامة، فقام رجل أسمر من الأنصار، فقال: يا رسول الله خذ عملك والله لا أتول لك عمل، قال: ولم؟ قال: سمعتك تقول: كيت وكيت، فرفع عليه الصلاة والسلام أصبعه وقال: والذى نفسى بيده، لقد قلته، والذى نفسى بيده، إنى أقوله الآن، أن من تولى عملاً فنقصنا مخيطاً أو شعرة ليأتين به يوم القيامة)، إن من يقرأ الحديث يتعجب فى أمر الأمة، يتعجب فيمن يدير مصالح الشعوب لنفسه، وبدلا من أن يكونوا خدام الأمة صاروا الحماة السارقين، أين هم من حديث رسول الله؟!

إن من اشق الأمور فى الحياة أن تقاوم الفساد، أيًا كان شكله أو لونه سواء الفساد المالى أو الأخلاقى، إن الفسدة لا ترغب غيرها أن يكون نظيفا، بل يتطاول بعضهم لاختلاق الرشوة، أو لجس النبض، إنها إسقاطات البشر حين يتلاعب بهم شيطانهم، ونسى المُؤتمرون والمُؤتمرين، والفرق بين الاثنين هم اجتمعوا ومن ثم يخططون، وأتذكر حين دخلت مكتبى الحالى قبل أن أدخله ظللت يومين حتى ذهبت إلى خطاط ليعلق لوحة بالمكتب تحمل آية قرآنية فى صفحة ٢٢١ من المصحف الشريف طباعة مجمع الملك فهد من سورة يونس (**وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ۚ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٠٧) سورة يونس.**

إن البلاء والابتلاء مهما بدا أمام أعيننا فلنعلم قول الكتاب **(إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا) الحج ٣٨**، إن الأمر كله بيد الله ليس بيد البشر، خلق الإنسان ضعيفا، وان من اشق الأمور أيضا تكون فى سفينة الفساد، جزءا منها تجدف بمجدافهم وتطبل بطبالهم، وكأنهم هم من بيديهم الأمور فانظر ماذا ينتظرك **لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ). (النحل:٢٥)** . فلنتذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم قال النبى صلى الله عليه وسلم « **أَيُّمَا دَاعٍ دَعَا إِلى ضَلالَةٍ فَاتُّبِعَ، فَإِنَّ لَهُ مِثْلَ أَوْزَارِ مَنْ اتَّبَعَهُ من غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ، وَأَيُّمَا دَاعٍ دَعَا إِلى هُدًى فَاتُّبِعَ فَلَهُ مِثْلَ أُجُورِهِمْ من غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ**»..

إن عظم المسئولية كبير، خطورتها أعظم فى تحقيق العدل لا السطو، والنهب على حقوق الآخرين، وان المتآمرين أو المؤتمرين، لن يصلوا إلى شيء إلا وقد كتبه الله، وليعلم الجميع أننا جميعا معرضون أمامه سبحانه وتعالى ونتذكر قوله تعالى، **وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ). (البقرة:٢٨١)** انه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم، فلنؤمن بالدعاء اللهم صلى على محمد وال محمد اَللّٰهُمّ انى اَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْعَظِيمِ الاَعْظَمِ الاَجَلِّ الاَكْرَمِ الْمَخْزُونِ الْمَكْنُونِ النُّورِ الْحَقِّ الْبُرْهانِ الْمُبِينَ الَّذى هُوَ نُورٌ مَعَ نُورٍ وَنُورٌ مِنْ نُورٍ وَنُورٌ فى نُورٍ وَنُورٌ عَلى كُلِّ نُورٍ وَنُورٌ فَوْقَ كُلِّ نُورٍ وَنُورٌ تُضيئ بِهِ كُلَّ ظُلْمَةٍ وَيُكْسَرُ بِهِ كُلُّ شِدَّةٍ وَكُلُّ شَيْطانٍ مَرِيدٍ وَكُلُّ جَبارٍ عَنيدٍ لا تَقِرُّ بِهِ اَرْضٌ وَلا تَقُومُ بِهِ سَمآءٌ وَيَامَنُ بِهِ كُلُّ خآئِفٍ وَيَبْطُلُ بِهِ سِحْرُ كُلِّ ساحِرٍ وَبَغْى كُلِّ باغٍ وَحَسَدُ كُلِّ حاسِدٍ وَيَتَصَدَّعُ لِعَظَمَتِهِ الْبَرُّ وَالْبَحْرُ وَيَسْتَقِلُّ بِهِ الْفُلْكُ حينَ يَتَكَلَّمُ بِهِ الْمَلَكُ فَلا يَكُونُ لِلْمَوْجَ عَلَيْهِ سَبيلٌ وَهُوَ اسْمُكَ الاَعْظَمُ الاَعْظَمُ الاَجَلُّ الاَجَلُّ النُّورُ الاَكْبَرُ الَّذى سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ وَاسْتَوَيْتَ بِهِ عَلى عَرْشِكَ يااللّٰه العظيم الأعظم يااللّٰه النور الأكرم يابديع السموات والأرض وياذا الجلال والإكرام ياحى ياقيوم أسألك بِحَقِّ الْعَرْشِ وَمَنْ عَلاهُ وَبِحَقِّ الْوَحْى وَمَنْ اَوْحاهُ وَبِحَقِّ النَّبى وَمَنْ نَبَّاَهُ وَبِحَقِّ الْبَيْتِ وَمَنْ بَناهُ ياسامِعَ كُلِّ صَوْت ياجامِعَ كُلِّ فَوْت يابارِئَ النُّفُوسِ بَعْدَ الْمَوْتِ صَلِّى عَلى مُحَمَّد واَهْلِ بَيْتِهِ وارزقنى من فضلك الواسع الحلال الطيب رزقا واسعا حلالا طيبا بلاغا للدنيا

والآخرة صبا صبا هنيئا مريئا من غير كد ولا من من أحد من خلقك إلا سعة من فضلك الواسع اَللّهُمّ اَنْتَ الْقائِلُ وَقَوْلُكَ حَقٌّ وَوَعْدُكَ صِدْقٌ وَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ اِنَ اللهَ كانَ بِكُمْ رَحيماً وَلَيْسَ مِنْ صِفاتِكَ يا سَيِّدى اِنْ تَأمُرَ بِالسُّؤالِ وَتَمْنَعَ الْعَطِيّةَ وَاَنْتَ الْمَنّانُ بِالْعَطِيّاتِ عَلى اَهْلِ مَمْلَكَتِكَ وَالْعائِدُ عَلَيْهِمْ بِتَحَنُّنِ رَأفَتِكَ فمن فضلك أسأل ومن عطيتك أسأل ومن يدك المليئة أسأل ياذا العزة التى لا ترام والملك الذى لا يضام والعين التى لا تنام والنور الذى لا يطفأ والوجه الذى لا يبلى والديمومة التى لا تفنى والحياة التى لا تموت والصمدية التى لا تقهر والربوبية التى لا تستذل يا كريم ياذا الرحمة الواسعة يا مطلعا على السرائر والضمائر والهواجس والخواطر لا يعزب عنك شيء أسألك فيضة من فيضان فضلك وقبضة من نور سلطانك وأنساً وفرجاً من بحر كرمك أنت بيدك الأمر كله ومقاليد كل شيء فهب لنا ما تقر به أعيننا وتغنينا عن سؤال غيرك فإنك واسع الكرم كثير الجود حسن الشيم فببابك واقفون ولجودك الواسع المعروف منتظرون يا كريم يا كريم يا كريم يا ارحم الراحمين يا حنان يا منان يا وهاب يا فتاح يا رزاق يا باسط يا جواد يا غنى يا مغنى يا كافى يا كريم يا لطيف يا واسع يا شكور يا ذا الفضل والنعم والجود والكرم. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم الملك الحق المبين توكلت على الحى الذى لا يموت «**والْحَمْدُ للهِ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِى الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِى مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً**» .

المقال الثانى
هو الطريق الأشق

انتابنى من الأفكار الكثير، العميقة والسطحية الجانبية والطرفية، وأصبحت فى دوامات ارغب أن أتجاوزها، أتساءل بين نفسى، فتارة أصيب، وتارة انحرف، وما من طريق به استقامة إلا وبه نقطة بل نقاط من الانحراف، وكما هو معروف أن الخط المستقيم ما يربط النقاط بعضها ببعض، فإذا غابت أداة الربط ظهر المستقيم معوجا لأنه لا يطابق المفروض أن يكون عليه، سألت نفسى هل الزيادة فى العلم أو الموج المتدفق من العلوم المتفرقة إلى شتى خلايا العقل تسبب إرباكا أم تسبب نورا، وقد تلاحظ عندى فى كثير من الأمور انه لا يوجد إجابة على المطلق أو الكلية فى أى أمر أفكر به بل ازداد الأمر تعقيدا انه يمكن حل المسألة أو أى مسألة إلى الخطأ والصواب فكل إجابة تحتمل الخطأ والصواب فى آن واحد ولكن يغفل عنا حكمة القياس. وتساءلت إذا ما كنت قد ولدت فى مكان غير المكان أو نشأت فى نشأة غير النشأة أو تعلمت فى أروقة غير الأروقة، وغيرها من علامات الاستفهام التى فتحت الفكر على مصراعيه، ولكون العقل فى كل البشر غير مضاء بالكلية فلا يمكن قبول الأمور بالأريحية، أو باليسر و لربما العقل المظلم قد لا يتعب صاحبة، لقد سلكت من الدروب كما اعتقد الكثير، منها ما هو صائب منها ما هو متعثر منها ما هو شائك، وفى كل مرة احتاج عونا، فى الصغر تعودنا الحوجة إلى الوالدين وفى الكبر ومع الرفقاء تعودنا المساعدة ولكن لم نتعلم وأقولها بصدق لم يعلمنا أحد أن العون عند الله، إنها القضية، الكبرى، أن تعلم أن العون من الله وأن كل مقادير الأمور بيد الله هى القضية المحورية التى تثبت، وتزحزح ويعوج المستقيم فيها، لا غرابة فيما أقول من علمنا بمنطق العقيدة، فى مراحلنا التعليمية، إذن كيف نصل إلى هذا الأمر، إنها طريق تثبيت بالعقيدة، وأكاد أجزم بالكلية بل بالمطلق أن الوصول إلى مصدر العون من الله سبحانه وتعالى،

وأن كل ما نحن فيه يؤل ومآله إلى الله، هو ما يبعد الخوف عن قلوبنا ويبعث فيها الطمأنينة، ويخلق قلبا ذاكرا خاشعا، وتساءلت مع نفسى كيف الولوج إلى الأمر، نعم، ان قراءتى وبحثى فى علوم الدين أو ما تلقيته فى مراحل الحياة آمنت أنها لم تكن كافية، فما بال القلوب الخاوية، كيف وهذا حالى الذى لا يريد إلا التشبع الكامل بالثبات، ولغياب القدوة التعليمية فى مراحل البشر خرجت الرسائل من مضمونها وأفرغت.

فى كل مرة أقابل أصدقائى والحاصلين على درجات علمية كبرى كالدكتوراه ولا داعى لذكر أسماء لما لهم من مناصب مرجعية كبرى، وفى كل مرة كنت أسال من منهم أن يجيب لى على كيف تكون البداية، هل من المسجد هل من المدرسة هل من التلفزيون هل من الآباء، لا تنزعجوا حين أخبركم حتى الآن لم أجد ضالتى وتلك هى الكارثة الكبرى، لقد التقيت بعلماء أفاضل فى علوم الدين، وكان لى شرف أن أتابع تصحيح ومراجعة القرآن الكريم على الأزهر الشريف فى الأقراص التفاعلية، واستفدت فى هذه المرحلة بالكثير إلا أنها لم تشبع ما بداخلى، وقد كانت الجائزة الكبرى والتى حصدتها ولم أكن أن أتصورها ولم أكن أتوقعها، هى أن يمن الله على فى زيارة بيت الله الحرام من داخل الكعبة والصلاة فى ثلاث أركان داخل الكعبة من الداخل فتوقفت، وأتأمل، وأن أصعب ما الإنسان التأمل، ولكن هو أمر هام، ولقد كان التمرد الداخلى من شيخ الكُتاب لى حين أبرحنى بالضرب، جعل بينى وبين الشخصية حاجزا، وتمردا، لا يوصف ورغم أن الطبيعية الريفية أو الصعيدية دوما يتمثل فيها الروح الإيمانية لخرجت للدنيا بشخص آخر ربما لا أعرف له بعدا ولا شكلا ولا وصفا.

وبدون السرد المطول، والكلام الذى يحمل تأويلا، وبعد عثرات، تسبب فيها كل من يقابلك، وبعد كثير من الصدمات التى لا يراها غيرى غير ذلك إلا أننى توصلت إلى مرحلة لا تقبل التراجع لان هناك من داخلى صوت ينادى أن الأبواب أسمع صفيرا تحركها لأن تنغلق، الأبواب تتحرك للانغلاق، كمن يعلن عن قيام سفينة فضاء إلى عالم لا نعلمه، نعم، وسؤالى هو كيف نواجه فضاء لا نعلم عنه شيئا غير ما يأتينا وما أُخْبرنا به، فسألت نفسى أهى مرحلة

نتجاوز بها الشك إلى اليقين، إن الهاتف الداخلى للإنسان وما يعبث بداخله من نداءات خفيه لا يستطيع أن يميز بينها وبين غيرها إن كانت نابعة منه أو من أضغاث أحلام وصفير يؤدى إلى مهلكة الطريق، انه الطريق الشاق الذى أبحث عنه وهو كيفية التعامل مع القرآن الكريم والسنة النبوية وهو ما القى اللوم فيه على من سبقونى ولم يدلوا بدلوهم، فأقول نعلم أن عدد آيات القرآن هو ٦٢٣٦ آية وأنه نزل فى ٢٣ سنة، ولكن الذى يتأمل يجد أن هناك آيات لم ترقم وهى البسملات ١١٢ فى مقدمات سور القرآن الكريم، فجميع سور القرآن الكريم بدأت بـ (يسم الله الرحمن الرحيم) ما عدا التوبة ولذلك نجد أن بعض القراء يعتبر أن البسملة آية من كل سورة فإذا أضفنا البسملات جميعا نجد أن عدد الآيات مع البسملة ٦٢٣٦ إضافة ١١٢ يصير المجموع ٦٣٤٨ آية، وبدون الدخول فى الدراسة الرقمية حول معجزة القرآن الرقمية إلا أننى سألت نفسى، إذا كان القرآن نزل فى ٢٣ سنة، وآياته ٦٢٣٦ فإذا تعلمنا آية واحدة كل يوم نحتاج إلى مالا يقل عن سبعة عشر عاما، لنتعلم كل يوم آية وهذا يعنى إذا بدأنا لتعلم آية بعد عمر ١٢ عاما فيعنى انه عند اكتمال ثلاثون عاما نكون قد تفهمنا القرآن، أما بالنسبة للحديث فتقع الأحاديث بين ٤٤٠٠ حديث إلى ما يقارب ١٠,٠٠٠ حديث واختلف العلماء فيما بينهم فى مسألة التكرار والضعيف، وإذا أنعم الله علينا، بتفهم حديث يوميا، فهذا يحتاج إلى ١٢ عاما، للتفهم، وبأخذ ١٧ عاما نكون قد تعلمنا الكثير وباب الاجتهاد كبير.

قلت فى نفسى كيف يكون ذلك، اعتقد أن الفترة التى بعد صلاة الفجر كافية، لتناول ساعة واحدة لتفهم آية وحديث، فهل سألت نفسك يوما، كم من فراغ يومك كسبت، حين تبحث فى ملفات الكمبيوتر أو على صفحات التواصل الاجتماعى. إنها النعمة المغبونة يا سادة، كم اجتمعت الأسر فى رمضان إلا من رحم وأجلس الآباء والأمهات الأبناء لمدارسة حديث أو آية، بدلا من التسالى الرمضانية لقبح فن أو عورة منهج أو خلاعة موسيقى، إن هناك من الأشياء المقبول و اللا مقبول وأنت صاحب الاختيار.

إذن اتفقنا على منهجية آية بشكل يومي، ليكون عنوانك (ولتكن آية وحديث)، فهذا هو الهدف، وكما درست في مراحل الدراسات العليا والمتقدمة في الماجستير أو الدكتوراه فإن الدراسة العلمية تحتاج إلى هدف بمنهج للتعامل معه، وطريقة التطبيق، وكيفية تجميع المعلومات والبيانات، وضوابط التعامل معها، ودون الدخول في تفاصيل كثيرة. أقول واستعين بالله إنه من الغد سوف نبدأ عنوانا جديدا (ولتكن آية وحديث)، ولكن قبل أن نبدأ أمامي عنوان آخر يخص كيفية التعامل أو منهجية التعامل مع القرآن والسنة والأحاديث القدسية، ثم طريقة أو خارطة الطريق، ثم تجميع المعلومات ومصادرها، حيث إن الكتابة هذه المرة سوف نعتمد فيها على المصادر، وإذا اختلفت آراء المصادر، سيتم عرض الآراء ومن ثم نستمد من الله أن ينير عقولنا وصدق الله العظيم ﴿ **مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ فاطر آية ٢ .

إن مشقة الطريق مهما بلغت لا تعادل ما ننتظره، إن الله تعالى يقول في الحديث القدسي عبدي أطعتنا فقرّبناك، عصيتنا فأمهلناك، نسيتنا فذكّرناك، ولو عدت بعد ذلك قبلناك، فلنتحرك ولتكن آية وحديث.

المقال الثالث
غياب النزاهة فى الجدر الآمنة

حين تغيب بداخلنا النزاهة أو الأمانة، وتتحول الأهداف إلى الشخصنة، فتشير أصابع الاتهام إلى العنصر البشرى، حيث تختفى الرؤية والعدالة والتحفيز فى المنظومة الإدارية فنرى ان العنصر البشرى هو المحور الرئيسى فهو مستخدم النظام، ولما كان المستخدم للنظام يتوالد بداخلة خبرة تراكمية فى معرفة والتقاط نقاط القوة والضعف والثغرات المتاحة الأمر الذى يعطيه قوة الجثوم على المركز الوظيفى وكأنه كما لو كان يحتنك الحصان فيحركه كيفما شاء، ويعطيه الفرصة ليصبح مركز قوى يتحكم ويدير كيفما شاء، دون أن يرى من يردعه فى تصرفه وهو امر يعتبر من الخلل الإدارى، فى ظل غياب المراقبة.

إن اطمئنان العنصر البشرى بأنه لا يوجد رقابة أو يوجد ثغرات فى النظام يتيح له التصرف فى الأمور بيده كمركز قوى وهذا لا يتأت إلا بأن تظل الوظيفة فترة طويلة لنفس الشخص، يفقد معها الحماس ويبحث عن ملاذ آمن لنفسه، ويعمل بنظام الوالى المؤقت كما كان يحدث فى النظم فى عصر الدولة العثمانية، فيحاول أن يجمع ما يمكن جمعه لشخصه، تحسبا لتغييره، والاستفادة من مكانه وتكوين عناصر من أعوانه المقربين لتظهر المحسوبية و الفوضى وتكون بمثابة حوائط كسر لأى نظام أو فكر يعارض أمر الشخصنة، ومع تغيير المناهج ظهر دور العنصر البشرى الجائم على منصبه فترة طويلة يعطيه الفرصة لإدارة الأمور لصالحة وليس لصالح النظام وبنظرة ثاقبة من خلال المشاهدات والخبرة الخاصة بى شخصيا طيلة العمر الوظيفى والذى تنقلت فيه فى مجالات الإدارة المختلفة فإن الشخصنة صارت سمة وظاهرة عامة يشترك فيها مراكز القوى مجتمعة لتكون نظام الفساد الإدارى لتكوين قوى تحتية تسعى فسادا، حتى تظهر الدكتاتورية الإدارية، وتصبح المركزية فى يد مركز القوى وإذا ما نظرنا

إلى اغلب النظم السياسية والإدارية نرى أنها تأخذ نفس النهج فى حالة وجود الوظيفة والموظف أيًا كانت وظيفته فهو جاثم على الكرسى، عبدا له، مدافعا عنه، يديره لمصلحته الشخصية، وتقل معه روح الولاء والانتماء، وبالتالى تفقد هوية الوطن، والوطن من وجهة نظرى يعنى هوية الوطن الداخلى فى أنفسنا، وهوية الوطن فى حيز المكان، فتنهار النظم والإدارات، ويصبح أمر التجديد غير وارد فى مفاهيم قادة الإدارة، لأنها تدار فى شخصنه وليست من جانب الولاء للمكان والعدالة الاجتماعية وإنكار الذات، وان الولاء حين يكون للمصلحة الشخصية فى ظل خلل النظام الإدارى والسيطرة علية يكون فى النهاية تكوين مجموعات بينية وتحتية تمثل قوة تضغط على النظام، وفى النهاية تجد الإدارة نفسها تدار من عجلات الإدارة الوسطى رغم المركزية، ويصبح القائد مغيبا وهو أمر يخالف نظرية الولاء والانتماء، إن إحساس الفرد فى المنظومة الإدارية بأنه مضطهد فى عدم مكافئته على ما يقوم به فيعطى لنفسه الحق بالبحث عن ثغرات اختراق النظام ليكون مملكة الشخصنة الخاصة والتى فى النهاية تؤدى إلى انهيار النظام لانتفاء الولاء والانتماء و إنكار الذات والعدالة الاجتماعية.

إن عدم وجود رؤية وتخطيط، وغياب العدالة الاجتماعية، باستخدام الشخصنة الوظيفية تكسر كل جدر صمود الإدارة إلى بر الأمان، وأن عدم تكوين صور واضحة أمام نظم الرقابة الإدارية، والمفتقد إلى أهل الخبرة والمعرفة، مع وجود أسباب غير مقنعة لمنهجية العمل فى أسباب ملفقة لتتوه الحقائق، وبالتالى إذا خلا أى نظام من محددات وإطار عمل، تكون القطاعات عبارة عن مستعمرات مستقلة ومتناثرة كالجزر، تدار بشكل هوائى وليس بشكل احترافى وهو أمر يحتاج إلى إعادة النظر، وتصبح الإدارة مثل الجزر المتناثرة ويصبح التحكم فيها غير آمن، فتنفصل الروابط بين المركزية واللامركزية فينهار النظام.

إن مفهوم الأمانة، هى كلمة واسعة الدلالة، وهى إدراك قوى من الفرد بمسئوليته الكاملة أمام الله فى كل قول أو عمل ما، وخلق الأمانة فى الإدارة هو الحفاظ على ما تقوم بإدارته، فحين تتخذ قرارا، وأنت فى اعلى مكان من يقول لك هذا خطأ وهذا صواب، ما لم تعلم أن الرقيب ربك، وان عقيدة الأمانة فى أن تؤمن بقوله **(وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ)** الأنبياء آية ٣٥ فانظر إلى عنصر

التقييم البشرى إذا خلا من العدل وذهب إلى التحيز الشخصى، فهو انهيار باب الأمانة، وكل ما يقوم بعمل ويترأسه فهو راع، وكما قال رسول الله قال : كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة فى بيتها راعية وهى مسئولة عن رعيتها، والخادم فى مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته، والراع هو اسم والجمع منه راعون و رعاء ورعاة ورعيان والمؤنث راعية والجمع للمؤنث راعيات و رَوَاع و الأمانة خلق جميل من أعظم الصفات، ولما كانت الأمانة هى مفتاح الرقى فلا يمكن لأى منظومة على أى مستوى، تظفر أو تتقدم بدون الأمانة وهى الأمانة التى حملها الإنسان انه العنصر البشرى، فلا قيمة للأدوات، ولا للتكنولوجيا، ولا مناهج الإدارة فى ظل فساد العنصر البشرى وخلوه من الأمانة فقال تعالى: «**إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا**»... (النساء ٥٨)، لقد دعانا الرسول الكريم عليه السلام إلى التخلق بخلق الأمانة. إنها الأمانة يا سادة، إن لم تكن حاملا للأمانة بصدق، وخلا منك العدل وتحول إلى مراتب الشخصنة فهو مفتاح انهيار الأمانة والأمم، فيسقط المبنى على ما فيه.